مجلة عيون المسائل
Oyunul-Mesail Journal
العدد 7 مجلد 4 – 2025 / 09 /30
https://doi.org/10.5281/zenodo.17237382

نماذج من توظيف التشبيه الأدبي في نقل الفكرة العلمية عند الدكتور البوطي في كتابه شرح الحكم العطائية

Examples of the use of literary simile to convey scientific ideas in Dr. al-Buti's book *Sharh al-Hikam al-'Ata'iyyah*

محمد بشير طاب
Bilecik Şeyh Edebali Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi
mhmdbshyrtab@gmail.com

Dr. Öğr. Üyesi İrfan Kaya
Bilecik Şeyh Edebali Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi
irfan.kaya@bilecik.edu.tr
Orcid:0000-0002-6169-2202

الملخص

لقد تناولت هذه الدراسة البحث في التشبيه والتعريف به وبيان أهميته من خلال الاستفادة من التشبيه في نقل الفكرة والمعلومة إلى المخاطب ليكون المعنى أقرب للفهم والاستيعاب الذهني، وذلك من خلال ذكر بعض الأمثلة والنماذج من كتاب شرح الحكم العطائية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي وكيفية توظيفه للتشبيه الأدبي في نقل المادة العلمية للقارئ. ولقد احتوى هذا البحث على تمهيد ومطلبين، ذكرت في المطلب الأول تعريف التشبيه وأنواعه وبيان أهميته في تبسيط الفكرة العلمية ونقلها بشكل مفهوم من المتكلم إلى المخاطب، وكذلك ذكرت تعريف بكتاب شرح الحكم العطائية للدكتور البوطي، ونبذة عن حياته العلمية، والتعريف بالحكم العطائية، والتعريف بصاحب الحكم وهو ابن عطاء الله السكندري. وذكرت في المطلب الثاني نماذج من صور التشبيه وكيفية الاستفادة منه في نقل الفكرة إلى القارئ من خلال تسليط الضوء على كتاب شرح الحكم العطائية للدكتور البوطي، حيث شرحت كل مثال على حدة مبيناً المعنى العام لهذا التشبيه والمراد منه، والفائدة التي سيقت لأجلها هذا التشبيه.

الكلمات المفتاحية: التشبيه الأدبي، الدكتور البوطي، شرح الحكم العطائية، توظيف التشبيه.

Abstract

This study explores the concept of simile, its definition, and its significance by examining how simile can be effectively used to convey ideas and information to the audience, making the meaning more accessible and mentally comprehensible. The research draws on examples from Dr. Muhammad Sa'id Ramadan al-Buti's commentary on al-Ḥikam al-ʿAṭāʾiyya, illustrating how he employs literary simile to transmit scientific and spiritual content to the reader. The study consists of an introduction and two main sections. The first section defines simile, outlines its types, and highlights its importance in simplifying and communicating complex ideas from speaker to listener. It also introduces Dr. al-Buti's commentary on al-Ḥikam al-ʿAṭāʾiyya, provides a brief overview of his scholarly life, and presents background information on the original text and its author, Ibn ʿAṭāʾ Allāh al-Sakandarī. The second section presents selected examples of simile and demonstrates how they aid in conveying ideas to the reader, with a focus

on Dr. al-Buti's commentary. Each example is analyzed individually, explaining the general meaning of the simile, its intended message, and the benefit it offers in context.
Keywords: Literary simile, Dr. al-Buti, Commentary on al-Ḥikam al-ʿAṭāʾiyya, Simile application.

مقدمة

لقد استفاد الدكتور البوطي من التشبيه البلاغي وتوظيفه في دعم الدعوة إلى الله تعالى، وللوصول لفهم كيفية الاستفادة من الأسلوب الأدبي في تبليغ شرع الله تعالى كان لا بُدّ من الوقوف على بعض الأمثلة من التشبيه في كتاب شرح الحكم العطائية للدكتور البوطي.

تأتي أهمية البحث في أنها تحاول الاطلاع على معنى التشبيه وأهميته في الخطاب وتوضيح المعنى المراد للمتكلم، فالتشبيه هو أهم أبواب علم البيان الذي هو أحد أقسام علم البلاغة، فتأتي أهمية هذا البحث في أنه محاولة للاطلاع على مكانة التشبيه في علم البلاغة، للاستفادة منه في نقل الفكرة العلمية، وذلك من خلال إعطاء بعض النماذج للتشبيه من كتاب شرح الحكم العطائية، كما تأتي أهمية هذا البحث في أنها محاولة للاطلاع على هذا الكتاب المهم لكل مسلم، فهي دراسة أدبية تطبيقية.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة البحث في بيان كيفية استعانة الدكتور البوطي بالتشبيه والتمثيل في نقل الفكرة العلمية للقارئ بهدف التوضيح وتقريب المعنى للأذهان وذلك من خلال تسليط الضوء على كتابه شرح الحكم العطائية، وبيان الفائدة من استخدام التشبيه في تبسيط المعنى وفهمه عند الدكتور البوطي.

أهداف الدراسة:

بيان معنى التشبيه وأهميته في نقل الفكرة وتوضيحها للمخاطب

استفادة الدكتور البوطي من التشبيه والتمثيل في نقل الفكرة العلمية للقارئ

ذكر بعض التطبيقات العملية للتشبيه من خلال كتاب مهم لعالِم إسلامي جليل.

تسليط الضوء على هذا الكتاب القيّم والاستفادة منه.

الدراسات السابقة:

لم أجد فيما بحثت عنه من الدراسات الجامعية أو رسائل الماجستير والدكتوراه دراسات سابقة فيما يخص موضوع التشبيه عند الدكتور البوطي في كتاب شرح الحكم العطائية.

منهج الدراسة:

سيتبع الباحث في هذه الدراسة المناهج الأتية:

- المنهج الوصفي وذلك بذكر تعريف التشبيه عند علماء البلاغة، وذكر نبذة عن كتاب شرح الحكم العطائية، وعن الحكم العطائية، وكذلك ذكر الأمثلة من الكتاب.
- المنهج الاستنباطي وذلك باستنباط الأمثلة الدالة على التشبيه من كتاب شرح الحكم العطائية، واستنباط الفائدة التي سيقت من أجله هذا التشبيه.

- المنهج التحليلي وذلك في تحليل هذه الأمثلة وبيان وجه الشبه فيها، ونوع التشبيه فيها.

إن الهدف الأساسي من دراسة علم البلاغة عند علماء اللغة العربية هي حسن تأدية المعنى المراد من المتكلم إلى المخاطب بحيث يكون الكلام واضحاً ومفهوماً وسليماً، وكذلك الابتعاد عن الوقوع في الأخطاء اللغوية أو التعقيد اللغوي في التخاطب بين الناس، ومن أهم الوسائل للوصول إلى المعنى المراد واضحاً ومفهوماً في التخاطب بين الناس هو التشبيه والتمثيل، الذي نجده بوفرة في كلام البشر سواءً كانوا عرباً أو عجماً. وهذا ما نرى جريانه بكثرة في كلام العرب وتخاطبهم، سواء كان شعراً أو نثراً أو خطابةً أو غير ذلك مما نُقل إلينا من الأدب العربي، وكذلك ما نجده في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من التشبيهات البليغة التي تعطي للمعنى وضوحاً أكثر ورسوخاً في النفس.

وقد درس علماء البلاغة في اللغة العربية التشبيه في علم البيان الذي هو أحد أقسام علم البلاغة، حيث أنهم ذكروا أركانه وأقسامه وأنواعه وذلك بحسب وروده في كلام العرب.

ولما كان الهدف من دراسة علم البيان هو تقريب الفكرة للأذهان وتوضيح المعنى المراد وترسيخها في النفوس، كان التشبيه هو أهم أبواب علم البيان، حيث أن التشبيه يضفي جلاءً للمعنى الخفي ويقرب المعنى البعيد بالصورة الماثلة في الذهن ويزيدها رسوخاً في النفس، ويهب جمالاً ورونقاً للكلام، وبلاغة في الحديث، ولهذا نجده قد جرى بكثرة على لسان الشعراء والأدباء.

ولأهمية التشبيه وتأثيره في تقريب المعنى وتوضيحه لم يستغنِ العلماء المسلمون قديماً وحديثاً عن الاستعانة بالتشبيهات والتمثيلات في كتبهم وأقوالهم، وذلك بغرض إيصال تعليمات الشريعة الإسلامية إلى عقول الناس وأذهانهم واضحةً جلية، ليكون أدعى لامتثالهم لهذه التعليمات الإلهية.

ومن هؤلاء العلماء الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه (الحكم العطائية شرح وتحليل) حيث أن القارئ لهذا الكتاب يجد جريان كلام الدكتور البوطي على النهج الأدبي في التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية، وذلك بقصد التفهيم والشرح وتقريب المعنى البعيد للأذهان.

وهو ما يتميز به الدكتور البوطي في كتاباته من سريان كلامه على النهج الأدبي في نقل الفكرة وإيصال المعنى للقارئ بالرغم من انصراف اهتمامه للتأليف في أمور العقيدة وعلم الكلام والتصوف وأصول الفقه، فهو وإن لم يُفرد كتاباً يتحدث فيه عن البلاغة العربية والأسلوب الأدبي إلا أنه آثر أن يجعل من أسلوبه الأدبي خادماً لنقل المادة العلمية في توضيح المعنى للقارئ والدفاع عن العقيدة الإسلامية الصحيحة.

فإن كتاب الحكم العطائية وما تحويها من موضوعات دقيقة في علم العقيدة والتصوف قد يصعب على كثيرٍ منّا الوصول إلى معناها الصحيح الواضح، إلا أن التشبيهات والتصويرات والتمثيلات التي يحتويها كتاب شرح الحكم العطائية للدكتور البوطي يساعد على الوصول إلى هذه المعاني الدقيقة.

وللاستفادة من أسلوب الدكتور البوطي الأدبي في نقل الفكرة العلمية، كان لا بد من الوقوف على بعض التشبيهات التي تخللت هذا الكتاب من خلال هذا البحث، والله ولي ذلك والموفق لما يشاء

المبحث الأول: التعريف بالتشبيه والتعريف بكتاب شرح الحكم العطائية ومؤلفه.

أولاً: تعريف التشبيه

التشبيه لغةً: التمثيل، والشبيه هو النظير. [1]

[1] ابن منظور، لسان العرب / مادة شبه / ج 13/ ص 503.

أما في اصطلاح البلاغيين فقد عرفه الخطيب القزويني بقوله: " الدلالة على مشاركة أمر لأخر في المعنى " [1].

فهو إلحاق أمر غير معروف حكمه أو غير مُتَصوَر عند المخاطب وهو المشبه، بأمرٍ معروف حكمه أو مُتَصور عند المخاطب وهو المشبه به لمشاركته في الحكم وهو وجه الشبه، وذلك بقصد التفهيم أو المبالغة أو إيصال المعنى للمخاطب بشكل أيسر وأوضح وأبلغ، ويكون ذلك بأداة من أدوات التشبيه. [2]

فعندما نريد أن نخبر عن شجاعة زيد مثلاً نقول: زيدٌ كالأسد شجاعةً، وعندما نريد أن نخبر عن كرم زيد مثلاً نقول: زيدٌ كالشجرة في العطاء، فيكون المعنى أوضح والكلام أبلغ.

فعلى هذا يكون أدوات التشبيه أربعة وهي: [3]

أولاً: المشبه وهو الأمر الذي لا يكون له حكم مسبق أو تصور مسبق لحكمه عند المخاطب، ونريد أن نلحقه بأمر أخر معروف حكمه مسبقاً عند المخاطب.

ثانياً: المشبه به وهو الأمر الذي يكون حكمه معروفاً مسبقاً عند المخاطب، ونلحق به حكم المشبه ليكون أقرب للفهم.

ثالثاً: وجه الشبه وهو الحكم أو الوصف المشترك بين المشبه والمشبه به، ويكون الوصف أقوى وضوحاً في المشبه به.

رابعاً: أداة التشبيه وهو الحرف أو الأداة التي تربط بين المشبه والمشبه به، وذلك مثل كأن أو كاف التشبيه أوما شابهها.

ثانيا: أهمية التشبيه وفائدته

وتظهر فائدة التشبيه من عدة نواحي، فالتشبيه هو الأسلوب الأيسر والأجمل لإيصال المعنى المراد من المتكلم إلى المخاطب، حيث أن المتكلم يشبه ما لا يدركه المخاطب بما هو مفهوم لديه ومتصور في ذهنه، فيكون أسهل لفهمه وإدراكه، كما أن التشبيه فيه من البلاغة والذوق الرفيع لإدراك ما بين الأمور من تشابه وتماثل، فهو يحتاج إلى دقة ملاحظة وذكاء في الانتقال من الأمور غير المعروفة إلى ما يسهل فهمه. [4]

ولذلك نجده بكثرة في أسلوب التخاطب بين الناس، لأنه أقرب للوصول إلى المعنى المراد، كما كَثُر استخدامه في الشعر والنثر والأدب عموماً عند العرب قديماً وحديثاً، وهذا ما نجده أيضاً في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من كثرة التشبيهات البلاغية وذلك لما في التشبيه من تسهيل فهم المعنى وجمال في الأسلوب وبلاغة في الأداء. [5]

أنواع التشبيه:

ولقد ذكر علماء البلاغة أنواعاً كثيرة للتشبيه، وذلك بحسب كونها تشبيهاً عقلياً أو حسياً، ومفرداً أو مركباً أو غير ذلك مما سأمر على ذكر بعضها.

-تشبيه المحسوس بالمحسوس: حيث يكون طرفي التشبيه وهما المشبه والمشبه به مما يدرك بأحد الحواس الخمسة، وذلك كقوله تعالى: (كأنهن بيض مكنون) فقد شبه الحور العين في الجنة بالبيض المكنون في شدة جمالهن، فقد جاء طرفي التشبيه هنا أمراً حسياً.

([1]) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص328.

([2]) أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، ص 213.

([3]) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة ص 249-250.

([4]) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ص 27.

([5]) عبد الرحمن حبنكة الميداني، البلاغة العربية ج 2/ ص165.

– تشبيه المعقول بالمعقول: وهو التشبيه الذي يكون فيه طرفي التشبيه مما لا يدرك بالحواس، إنما من المعاني الكلية التي تُدرك بالعقل، كقوله تعالى:(طلعها كأنها رؤوس الشياطين) فقد شبه الله تعالى ثمار شجرة الزقوم في جهنم برؤوس الشياطين ووجه الشبه بينهما في أن كليهما مخيف وبشع، وطرفي التشبيه هنا مما لا يُدرك بالحواس الخمسة.

– تشبيه المعقول بالمحسوس: وهو أن يكون المشبه أمراً عقلياً لا يدرك بالحواس الخمسة، أما المشبه به يكون أمراً محسوساً مما يُدرك بأحد الحواس الخمسة، كقوله تعالى:(مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) [1].

– تشبيه المركب بالمركب: وهو ما كان فيه طرفي التشبيه مركباً من عدة أجزاء حتى صار كأنه صورة واحدة، وهو عكس تشبيه المفرد بالمفرد [2]، وذلك كقوله تعالى:(مثل الذين ينفقون في سبيل الله كمثل حبةٍ أنبتت سبع سنابل)

التشبيه البليغ: وهو التشبيه الذي حذُف منه وجه الشبه وأداة التشبيه [3]، حيث يكون التشبيه فيه أبلغ وأقوى، وكأن المشبه هو نفس المشبه به، كقوله تعالى:(والجبال أوتاداً)

التشبيه الضمني: وهو ما كان فيه أركان التشبيه غير صريحاً، ولكن يُفهم من معنى الكلام وسياق الحديث [4]، كقوله تعالى:(أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت)

ثالثا: الدكتور البوطي وعلاقته بالأدب العربي والبلاغة.

لا يخفى لأحد قرأ كتب الدكتور البوطي اهتمامه بالأسلوب الأدبي في نقل الفكرة والمعنى للقارئ، فهو وإن لم يُفرد كتاباً يتحدث فيه عن علم البلاغة وتطبيقاتها، إلا أنه قد تحدث عن إعجاز القرآن الكريم وإعجاز السنة النبوية الشريفة من الناحية البلاغية، وكذلك كان مهتماً بالكتابات الأدبية في بدايات أعماله الكتابية وله في ذلك بعض المقالات في بعض الصحف العربية، وقصة موزين وسيامند فتى الأدغال وكتاب من الفكر والقلب وغير ذلك من الأعمال الأدبية. [5]

وكذلك ما نلاحظه في كتبه من سريان كلامه على النهج الأدبي والبلاغي من تشابيه واستعارة ومجاز وكناية وكذلك طباق وجناس وغير ذلك، إلا أنه آثر أن يجعل من أسلوبه الأدبي ولسانه الفصيح خادماً للشريعة الإسلامية والدفاع عن العقيدة الإسلامية الصحيحة، ووعاءً لنقل الفكرة العلمية وصياغتها بأسلوب أدبي جميل لتكون أقرب للنفوس وأدعى للقبول. [6]

كما أنه يدعو إلى الإقبال على الكتابات الأدبية التي يكون فيها الالتزام بالشريعة الإسلامية بارزاً وواضحاً، حيث أن الكلام الأدبي هو حاجة نفسية لا بد من إروائها بما يناسب أوامر الشرع الإسلامي. [7]

المبحث الثاني: لمحة عن كتاب شرح الحكم العطائية للدكتور البوطي

([1]) عبد العزيز عتيق: علم البيان 66-67.

([2]) الهاشمي / جواهر البلاغة ص 258.

([3]) فضل حسن عباس / البلاغة فنونها وأفنانها ص 58.

([4]) المراغي علوم البلاغة ص 234.

([5])د. محمد سعيد رمضان البوطي/البدايات باكورة أعمالي الفكرية/ دار الفكر، دمشق/ الطبعة الثانية، 2013.م/ ص 6 -7

([6])د. محمد سعيد رمضان البوطي/ هذه مشكلاتهم/ دار الفكر المعاصر، بيروت/ دار الفكر، دمشق / تاريخ النشر 2008.م/ ص 229-230

([7])د. محمد سعيد رمضان البوطي/ من الفكر والقلب/ دار الفقيه للنشر والتوزيع- مصر / ص 182.

يعتبر كتاب شرح الحكم العطائية للدكتور البوطي من الكتب المهمة والمفيدة لكل من أراد دراسة هذه الحكم ومعرفة معناها والعمل بها على الوجه الصحيح، وهو كتاب يضم خمس مجلدات، بدأ الدكتور البوطي هذا الكتاب بذكر مقدمة تحدث فيها عن سبب تأليفه للكتاب، وهو أنه كان يتناول في دروسه التي كان يلقيها في مساجد دمشق هذه الحكم العطائية وشرحها بما فتح الله عليه، وبعد فترة معينة ومع إصرار الناس الذين سمعوا لتسجيلات هذه الدروس على ضم مجموعة هذه الدروس في كتاب، للاستفادة منه بشكل أوسع، قام الدكتور البوطي بصقله على شكل كتاب. (.1)

وذكر أيضاً الدكتور البوطي في مقدمة هذا الكتاب لمحة عن هذه الحكم العطائية وأهميتها لكل مسلم، وفوائدها التي تشمل جوانب حياة الإنسان، وذلك في العقيدة والأخلاق والسلوك. كما أنه ذكر أيضاً نبذة عن حياة ابن عطاء الله السكندري وهو صاحب الحكم العطائية، وما امتاز به من مكانة علميّة وأدبية. (.2)

أما ضمن الكتاب فيتناول الدكتور البوطي كل حكمة على حدة، مبيناً معناها اللغوي وشرحها التفصيلي، ودليلها من القرآن الكريم أو السنة النبوية إن وجد، وما يرمي إليه ابن عطاء الله من ذكر هذه الحكمة، مع ضرب الأمثلة للإيضاح، ثم يذكر الإشكالات التي قد ترد على فهم الحكمة وتطبيقاتها العمليّة على شكل استفسار، ثم يتبعها بالجواب الشافي والمفصل لهذا الإشكال، مستعيناً في ذلك بما درسه من مبادئ العقيدة الإسلامية وببعض شروح الحكم العطائية كشرح الشيخ أحمد زروق، وكذلك بكتب ابن عطاء الله الأخرى.

ويمتاز هذا الكتاب من الناحية العلمية بغزارة معلوماته وشموليته وبعبارته البسيطة والسهلة، أما من الناحية الأدبية فيمتاز أسلوب الدكتور البوطي فيها بميلهِ إلى استخدام المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية وضرب الأمثلة وذلك بقصد تقريب المعنى البعيد، وهو ما يمتاز به الدكتور البوطي في كتبه، من جمعه بين المادة العلمية والأدبية.

أولا: لمحة عن كتاب الحكم العطائية.

إن الحكم العطائية هي مجموعة من المقاطع اللفظية على شكل نثر، صغيرة في مبناها، بليغة في تركيبها، وتحتوي على معاني عميقة، استخلصها ابن عطاء الله من كتاب الله أو سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. (.3) حيث صيغت هذه الحكم بأسلوب بلاغي أدبي رفيع، وهي في الوقت نفسه تحمل في طيلتها معاني دقيقة في التصوف والوصول إلى الله تعالى. (.4)

ويرى الدكتور البوطي أن الحكم تنقسم بالنظر إلى موضوعاتها إلى ثلاثة أقسام، فالقسم الأول منها موضوعه التوحيد والحفاظ على عقيدة المسلم سليمةً من شوائب الشرك والرياء والعجب....، والقسم الثاني موضوعه الأخلاق وتزكية النفس، أما القسم الثالث فموضوعه السلوك وما يتعلق به من أحكام. (.5)

ثانيا: لمحة عن صاحب كتاب الحكم العطائية.

([1])الدكتور البوطي/ الحكم العطائية شرح وتحليل/ دار الفكر المعاصر- بيروت/ دار الفكر- دمشق/ الطبعة إعادة/ 2003.م/ ج1 ص 7

([2]) المصدر السابق ج1 / 10/9/8.

([3])المصدر نفسه ج 1/ ص 9

([4])الشيخ الزروق (أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي)/ شرح حكم ابن عطاء الله/ تحقيق عبد الحليم محمو/ دار الشعب -القاهرة/1985/ ص 10

([5])الدكتور البوطي/ شرح الحكم العطائية/ ج 1/ ص 10

ومؤلف كتاب الحكم العطائية هو الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله، الملقب بتاج الدين أبو الفضل، وهو من علماء المذهب المالكي، شاذلي الطريقة في التصوف من أتباع الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى.

وُلد عام 658. للهجرة في مدينة الإسكندرية لذلك لقب بابن عطاء الله السكندري، وتوفي في عام 709 للهجرة. [1]

ولقد كان ابن عطاء الله ملماً بأنواع العلوم الشرعية كالحديث والتفسير والفقه والنحو والأصول وعلم الكلام وغير ذلك من العلوم، وكان من المتكلمين على مذهب أهل التصوف، حيث كان أعجوبة زمانه في كلام التصوف، وكان يجلس للوعظ والتعليم وقد استفاد من علمه كثير من الناس، واتبعوا مسلكه في التصوف. [2]

المبحث الثالث: بعض النماذج على التشبيه من كتاب شرح الحكم العطائية للبوطي مع تحليلها

" إذن فكلام اللسان مرآة تكشف عما استقر في الجنان " [3] إن ما ينطق به الانسان من الكلام وما يتفوه به من الكلمات هو الدليل الواضح عما استقر في داخله، فخفايا النفوس لا يمكن لأحدٍ أن يطلع عليها غير الله سبحانه وتعالى، إلا أننا من خلال ما يجري على لسان الانسان من الكلام نستطيع أن نصل إلى معرفة ما وقر في قلبه من الخير أو الشر، فالذي يتكلم بذكر الله تعالى وإرشاد الناس إلى طريق الخير دليل على وجود الخير في قلبه، والذي يتكلم بالكفر أو بما يُغضب الله تعالى دليل على وجود الشر في قلبه، وللوصول إلى معرفة هذه الحقيقة بشكل أوضح شبه الدكتور البوطي هذا الأمر المعنوي بشيء حسي ملموس وهي المرآة، ووجه الشبه بينهما هو الوصول إلى معرفة حقيقة ما خفي عن الانسان، فكما أن المرآة تُظهر ما ينعكس عليه من الأشياء بكل صدق ووضوح، وكذلك اللسان يعكس ما خفي في القلب بكل صدق ووضوح.

" أن اللسان إذا خالف ما هو مكنون في القلب تصاعد من هذا المكنون الخفي إلى عيني المتكلم وقسمات وجهه، فوح يسري إلى بصيرة الرائي أو السامع كما تسري الرائحة في الأنف، فيفضح اللسان المفتئت على القلب ويكشف انفصال الكلام عن قلب صاحبه فلا يستبين السامع فيه شيئاً من نبضات القلب ومشاعره " [4]

يصور لنا الدكتور البوطي حال الانسان الذي يحاول أن يخفي حقيقة ما هو عليه بأن يُظهر خلا ف ما يُبطن في قلبه، وكيف أن تغيرات تطرأ على وجهه تكشف للسامع كذب المتكلم فيما يقول، وأن كلامه مخالف للحقيقة، فيكون بذلك قد وضع حاجزاً بينه وبين المستمع فلا يُدرك بذلك الفائدة المرجوة من كلامه

وللوصول إلى إدراك هذا المعنى بشكل أدق يشبه لنا الدكتور ما يشعر به المستمع لهذا الكلام من عدم المصداقية بحصول الرائحة في الأنف دون أن يرى بعينه، فيستطيع من خلال الرائحة التي اشتمها أن يُدرك حقيقة الأمر دون أن يراها بعينه. ووجه الشبه بين الصورتين هو الوصول إلى حقيقة الحكم على الشيء بخلاف ما يظهر عليه لوجود دليل على ذلك أقوى من الظاهر، فكما أننا من خلال الرائحة نحكم على وجود الشيء مع اننا لا نراه، وكذلك يكتشف السامع كذب المتكلم من خلال ما يحسه المستمع من التوافق بين مشاعر المتكلم ومفهوم كلامه.

([1])أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني/ إيقاظ الهمم في شرح الحكم/ تقديم محمد أحمد حسب الله/ دار المعارف– القاهرة/ ص 8

([2])محمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداوودي(ت 945.للهجرة)/ طبقات المفسرين/ دار الكتب العلمية – بيروت/ ج1/ ص 77

([3]) ج 4/ ص 251

([4]) ج4/ ص 253

" وسكر القلب بالأهواء التي تستبد به وتأسره، تحجبه عن الأسرار والمعارف والعلوم التي من شأنها أن تُشرق على القلب رأساً دون وساطة من إعمال فكر وبذل جهد، كما يحجب السكر بالخمر العقل عن المدركات الفكرية والعلمية التي تتعامل معها سائر الأفكار والعقول " [1].

يصور لنا الدكتور البوطي حال الانسان الذي يستجيب لأهواء نفسه ورغباتها ويميل إلى إشباع شهواتها، ثم تعتاد نفسه على تلبية هذه الشهوات حتى يصبح أسيرها ولا يستطيع العيش بدون إشباع هذه الشهوة، وتصبح الشهوة عندئذ هي صاحبة القرار عند هذا الانسان، معرضاً عن الإشراقات الروحية التي يمدّه الله تعالى بها، حيث أن الله سبحانه وتعالى يمنح الانسان الهداية ويحببه بالإيمان ويزينه في قلوب الناس رأفةً ورحمةً بهم، إلا أن الانسان الذي يصبح أسيراً للشهوة محجوب عن هذه الهداية بسبب إقبال قلبه على هذه الشهوات.

ولتقريب هذا المعنى إلى أذهاننا يشبه الدكتور البوطي حال هذا الانسان بالإنسان الذي شرب الخمر حتى وصل إلى حد السكر فأصبح عقله لا يستجيب لأدنى درجة من المحاكمات العقلية والفكرية. وهو من باب تشبيه المعقول بالمعقول.

ووجه الشبه بين الصورتين هو الانحجاب عن الاشراقات والإلهام الخارجي والمحاكمات العقلية والفكرية.

والفائدة من هذا التشبيه تصوير أمر فكري نظري بحالة واقعية ملموسة ليسهل على القارئ استيعاب الفكرة بشكل أيسر، وكذلك إظهار بشاعة صورة من يجري وراء شهواته بتشبيهها بصورة منفرة وهي صورة شارب الخمر، ليكون ذلك رادعاً للنفس وزجرها عن اتباع الشهوات والرغائب. " ثم إن الاستقامة سُلمٌ ذو درجات كثيرة تدنو بصاحبها إلى حيث الكمال " [2].

إن السير على طريق الاستقامة على أوامر الله واجتناب نواهيه طريق طويل، كلما وصل فيه إلى نقطة معينة من الالتزام وجد نفسه مقصراً في جنب الله تعالى، ثم يسعى ويشد الخطى ليقترب من الله أكثر، وهكذا طول حياته دون أن يدرك درجة الكمال التي تطمح إليها نفسه في رضى الله، بل يحاول الاقتراب من رضى الله سبحانه وتعالى أكثر فأكثر. وللوصول إلى هذا المعنى الدقيق في الاستقامة فقد شبه الدكتور البوطي طريق الاستقامة بالسلم الذي يصعد به الانسان إلى الأعلى، وذلك من باب تشبيه المعقول بالمحسوس ليكون أقرب للاستيعاب الذهني

ووجه الشبه بينهما هو أن كلاهما ذو درجات نصل من خلالهما إلى ما هو أعلى وأسمى، وتظهر الفائدة من هذا التشبيه في الحث على الالتزام على طريق الاستقامة للبلوغ إلى أقصى الغايات.

" أنهم موقنون بأحقية ما تدعوهم إليه، وبصدق ما تشرحه وتبينه لهم، ولكنهم واقعون تحت أسر عواطفهم المجندة لحساب أهوائهم وشهواتهم الغريزية، فكأنهم يملكون العربة ولا يجدون الوقود " [3].

يصور لنا الدكتور البوطي في هذا الكلام حال الانسان الذي وصل إلى معرفة الله تعالى من خلال المحاكاة العقلية والبراهين والأدلة الفكرية، دون أن يتعلق قلبه بمحبة الله تعالى والتزام أوامره، فهو وإن كان مُوقناً بوجود الله تعالى وأن تكاليف الشريعة الإسلامية كلها حق ولكن قلبه يميل إلى إشباع أهوائه ورغائبه، فلا تمده عواطفه بالطاقة اللازمة للقيام بواجباته تجاه الله تعالى وتنفيذ أوامره، وبما يُقر به عقله. ولكي نفهم حال هذا الانسان فهماً أدق وبشكل أبسط يشبهه لنا الدكتور البوطي بالإنسان الذي يملك العربة ويريد أن يقودها ولكنه لا يملك الوقود لتحريك هذه

(1) ج4/ ص 398

(2) ج4/ ص 229.

(3) ج4/ ص 361.

العربة، فهو من باب تشبيه المعنى العقلي بالشيء المحسوس وذلك لتقريب المعنى إلى الأذهان، ووجه الشبه بين الصورتين هو عدم إمكان الاستفادة من الشيء إلا باجتماعه مع الأخر، دون الاستغناء عن أحدهما.

والفائدة من هذا التشبيه هو الحث على ضم المحبة القلبية إلى التسليم العقلي في الإيمان بالله تعالى، ليثمر من هذا الاجتماع الالتزام التام والأمثل بأوامر الله تعالى.

"فكأن المصائب من هذا الجانب، المنبه لهم والعائد بهم إلى محراب العبودية لله أعيادٌ تحمل لهم بشائر عناية الله بهم ومحبته لهم " [1].

يشبه الدكتور البوطي الشدائد التي تُصيب الانسان المؤمن بالله تعالى والموقن بحكمته بالأعياد التي تحمل الفرح والبهجة للنفوس، وذلك من حيث أن الشدائد والمصائب التي تأتي للإنسان المسلم فيها دلالة على رحمة الله تعالى وعنايته بهذا العبد، لأن فيها تنبيه لهذا الانسان المسلم ليعود إلى جادة الصواب وطريق الحق، فالإنسان المسلم إذا نظر إلى المصيبة على أنها إشارة للرجوع إلى الله تعالى والعودة إلى صراطه المستقيم عادت المصيبة لتكون دلالة على رحمة ولطفه بالعبد فيفرح بها المسلم كفرحه بقدوم العيد. فالمشبه هي المصائب والمشبه به هي الأعياد ووجه الشبه بينهما هي دلالة كل منهما على الفرح إذا نظرنا إلى المصائب على أنها تنبيه من الله تعالى للعبد واللطف به، وهو من باب تشبيه المعقول بالمعقول.

والفائدة من هذا التشبيه هو تقريب المعنى للأذهان بشيء معروف، وكذلك التفاؤل عند نزول الشدائد والمصائب وحسن الظن بالله تعالى فيما يصيب الانسان من نوازل في هذه الحياة.

" إذ الإيمان بالله غرسٌ، ثمرته امتثال الأوامر والانتهاء عن النواهي " [2] إن الإيمان بالله سبحانه وتعالى له فوائد عملية على أرض الواقع، فلا يكفي أن يستقر الإيمان في قلب المسلم أو يُقر ذلك بلسانه فقط، بل لا بد أن يسري نور هذا الإيمان إلى جوارحه، فيمتثل بما أمره الله تعالى به من الأفعال ويكف عما حرمه، ليحصد بذلك ثمرة ما استقر في قلبه من الايمان، وللوصول إلى حقيقة هذه الصورة التي يجب أن يكون عليها حال المسلم شبه الدكتور البوطي ما يستقر في قلب الانسان من إيمان ثم تكون سبباً لالتزام هذا الانسان بأوامر الله تعالى والابتعاد عن نواهيه بالغرسة التي يغرسها الانسان في التراب ثم تُؤتي ثمرها بعد حين، فهو من قبيل تشبيه الأمر العقلي بالشيء الحسي الملموس ليكون المعنى أقرب للذهن.

الفائدة الأخرى من هذا التشبيه هو الحث على الالتزام بالإيمان بالله وتعاليم الإسلام للوصول إلى فوائده وذلك بتشبيه الإيمان بصورة محببة للنفس وهي الشجرة المثمرة.

"وتكون الدنيا عندئذ في إقبالها إليك أشبه ما تكون بشراب بغريك بريقه، ويلذ في فمك طعمه، حتى إذا وصل منك إلى الجوف، تخبطت منه نفسك ونالك دوار واهتاجت في جسمك منه آلام " [3].

يُصور لنا الدكتور البوطي حال من أقبلت عليه الدنيا بمتعها وزخارفها فيغفل عن آخرته، فتراه غارقاً في ملذات الدنيا لا يحرم نفسه عن شيء من متعها، إلا أنه قد غفل عن شكر صاحب النعمة ونسي آخرته التي هي مصيره الحتمي، ولتوضيح هذه الصورة بمعنى قريب في أذهاننا يشبه الدكتور البوطي الدنيا في إقبالها على هذا الانسان بالشراب الذي له مظهر جميل وبراق وله مذاق لذيذ في الفم، إلا أنه يسبب الأمراض والأسقام للإنسان الذي يشربه.

([1]) ج4/ ص 204.

([2]) ج4/ 373.

([3]) ج4/ ص 42.

وهذا من قبيل تشبيه المركب بالمركب أي تشبيه صورة مركبة من عدة أشياء بصورة أخرى، فالمشبه هنا هي صورة الانسان الذي يُقبل عليه الدنيا بكل مُتعها غافلاً عن الأخرة، والمشبه به هي صورة الانسان الذي يشرب شراباً ظاهره اللذة والجمال ولكنه يُسبب الأمراض والعلل فيما بعد، ووجه الشبه بين الصورتين هو الانخداع بظاهر الأشياء دون التفكير في مآلات الأمور وعاقبتها مما يؤول إلى عاقبة وخيمة في النهاية.

وتظهر الفائدة من هذا التشبيه في تقريب المعنى إلى الأذهان بصورة واقعية تجعل القارئ يدرك خطورة التعلق بالدنيا ومتعها ونسيان الأخرة، وليدفع بالمسلم للتفكير في عواقب الأمور دون الانخداع بالظاهر.

"وإنه لعجيب حقاً أن يتصدق غنيٌ بلقيمات من طعام على فقير مدقع، فتنسيه اللقيمات فقره، ثم يتباهى بها عليه، ويرى في نفسه أنه قد بلغ بها قمة الشموخ والاستغناء، وتلك هي حالة من أنساه إكرام الله له فاقته وافتقاره إليه....." (1.)

يصور لنا الدكتور البوطي ف هذا التشبيه حال الانسان الذي قد أغدق الله تعالى عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وبعد أن أحس من نفسه القوة والاستغناء بهذه النعم، نسي المنعم الحقيقي، وأصبح يتفاخر بوجود هذه النعم عنده ويتكبر على غيره من الناس، ناسياً كرم الله سبحانه وتعالى ليظن من نفسه أنه هو صاحب النعمة، مع أنه بحاجة إلى لطف اله وإحسانه في كل لحظة، فيشبه لنا الدكتور البوطي حال هذا الانسان بحال انسان فقير قد لجأ إلى رجل غني يطلب منه المعونة، فتمنن عليه ببعض الطعام والشراب رأفةً بحاله فما يلبث هذا الفقير إلا أن يرى من نفسه أنه قد بلغ بهذه المعونة حد الغنى وعدم الحاجة إليه، فهو من قبيل تشبيه صورة بصورة، أي تشبيه المركب بالمركب.

ووجه الشبه بين الصورتين هو جحود النعمة ونسيان الفضل والتكبر على صاحب الإحسان، وتظهر الفائدة من هذا التشبيه في تقريب المعنى للأذهان وذلك بتشبيه معنى جحود النعمة بصورة واقعية عملية لتكون أقرب للفهم المعنى وإدراكه، وكذلك تصويرها بصورة مذمومة لكيلا يتصف الانسان المسلم بها، وإظهار الاستغراب والتعجب من حال من يقوم بذلك.

" ولم يكن جهدي بين مصدر الإلهام وأفكار الناس إلا كجهد ساعي البريد إذ يسعى بما قد حُمِّله بين الصادر والوارد بأمانة الاستلام والتسليم " (2.)

يصور لنا الدكتور البوطي حالته في إلقاء الدروس والمواعظ على الناس وما يفتح الله تعالى عليه من الأفكار التي تكون سبباً لهداية الناس وكيف أن الله تعالى هو الذي يُلهمه هذه الأفكار ويوفقه لأداء هذه المهمة، ولتقريب هذا المعنى إلى الأذهان بحيث يكون واضحاً ومفهوماً يشبه لنا الدكتور البوطي حاله هذا بحالة ساعي البريد الذي تعينه الدولة لنقل الرسائل إلى الناس بأمانة دون أن يكون له يد في تحضير هذه الرسائل أو كتابتها إنما وظيفته نقل هذه الرسائل فقط. والفائدة من هذا التشبيه هو تصوير الاعتراف بفضل الله تعالى وحده في القيام بالدعوة إلى الله تعالى دون أن يكون له فضلٌ في ذلك مع تقريب هذا المعنى إلى الأذهان بصورة واقعية ليكون المعنى واضح أكثر.

"وتأمل في حديثه لك عن الدنيا، وتحذيره لك من الاغترار بها والركون إليها، وفي تأكيداته لك بأنها في الحقيقة مجرد ظل زائل وبرق خلّب، وألق لا دوام، وفي أمره لك باتخاذها بُلغةً تُوصلك إلى مرضاة الله، ومطية تُوصلك إلى جنانه...." (3.)

(1) ج4/ ص 214

(2) ج2/ ص 7.

(3) ج4/ ص 56.

يحذرنا الله تعالى في كثير من آيات القرآن الكريم من الاغترار بالدنيا وما فيها من ملهيات ومتع زائلة بعد زمن بسيط، وهذا ما يُذكرنا به الدكتور البوطي في هذا الكلام من ضرورة عدم الركون إلى ما يتمتع به الانسان في هذه الدنيا من مال أو قوة أو سلطان، فإن هذه النعم التي أكرمنا الله تعالى بها إنما هي امتحان أو هي وسيلة للوصول إلى تنفيذ أوامر الله تعالى.

وللوصول إلى هذا المعنى بشكل أوضح شبه لنا الدكتور البوطي هذه المتع بشيء واقعي ملموس وهو الظل الذي يبقى لوقت معين ثم ما يلبث أن يزول شيئاً فشيئاً، وكذلك شبهه بالبرق الذي يلمع فجأة في وقت بسيط ثم يزول مباشرةً.

فالمشبه هو متع الحياة الدنيا والمشبه به هو الظل الزائل أو البرق الذي يلمع ثم يختفي، ووجه الشبه بينهما هو الزوال وعدم الاستقرار، وهذا من باب التشبيه البليغ وهو التشبيه الذي ذكر فيه المشبه والمشبه به وحذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه.

وفي الكلام أيضاً تشبيه آخر وهو تشبيه متع الدنيا بوسيلة النقل التي تُوصلك إلى المكان المطلوب، حيث أن وسيلة النقل وظيفتها فقط الوصول إلى المكان المقصود، وكذلك ما متعنا به الله تعالى في هذه الحياة الدنيا من نعم إنما هي وسيلة للقيام بما أمرنا به تعالى، وهذا من باب التشبيه البليغ أيضاً.

وتظهر الفائدة من هذه التشبيهات في هذا الكلام في التحذير من الركون إلى متع الحياة الدنيا وعدم الاغترار بها ولتقريب هذا المعنى إلى الأذهان بتشبيهها بأمور محسوسة، وهذا من باب الاستفادة من التشبيه الأدبي في نقل الفكرة العلمية.

" يا عجباً لرجل أستأجر داراً من صاحبها إلى عشرة أعوام، وله على مقربة منها خربة تحتاج إلى بناء، فلما صار الرجل إلى هذا البناء أُخذ بزينتها..... وركن إلى تلك الدار المستأجرة لاهياً ناسياً المستقبل الذي هو آيل إليه... ولم يُوقظه من ذلك إلا شبح مالك الدار مقبلاً إليه يطلب منه الإخلاء " [1].

يصور الدكتور البوطي في هذا التشبيه التمثيلي حال الانسان الذي ركن إلى الدنيا وهو يعلم بأنها فانية لن يستقر ومع ذلك فهو يسعى لإعمار هذه الحياة وكأنه سيبقى خالداً فيها، فينسيه انشغاله بالدنيا التفكير بالموت والتجهيز للحياة الأخرة، ليتفاجأ بعد مضي العمر وقد حل موعد الرحيل من الدنيا، فيخسر بذلك الأخرة التي هي الحياة الحقيقة للإنسان.

وللوصول إلى معنى الغفلة التي يعيشها هذا الانسان وتقريبها للأذهان يشبه الدكتور البوطي حال هذا الانسان بصورة واقعية قريبة للإدراك العقلي، وهي صورة رجل استأجر بيت من مالكه لمدة محددة وهو يملك بيت خربة تحتاج إلى ترميم وإعادة بناء، إلا أنه ينشغل عن تعمير بيته الخرب بالانبهار بالبيت الذي استأجره والاستقرار فيه، ليتفاجأ بعد مضي المدة بمالك البيت يطالبه بالخروج من البيت، وقد ساق الدكتور البوطي هذا التشبيه ليبين لنا أن الحكم في الصورتين واحد وهو عدم وجود العقلانية في هذا التصرف والتعجب والاستنكار منه.

" وإذا أتيح لك بما تملكه من الحصيلة العلمية أن تغوص في مزيد من العمق متتبعاً علاقة ما بين الأسباب والمسببات، رأيت الأسباب تقل ثم لا تزال تقل، كما تقل أغصان الشجرة كلما تجاوزت رؤوسها هابطاً إلى الأدنى فالأدنى منها إلى أن توصلك حقائق العلم إلى الجذع الذي تفرعت عنه الأسباب كلها " [2].

([1]) ج3/ص 62.

([2]) ج3/ ص 65.

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الكون وجعله قائم على نظام الأسباب والمسببات، فكل شيء في هذا الكون له سبب ونتيجة، ونتيجة هذا الشيء تكون سبباً لشيء آخر، فالكون كله قائم على نظام السببية الذي خلقه الله فيه، إلا أن الانسان قد يغفل عن الصانع الحقيقي لهذه الأسباب والمسببات وهو الله سبحانه وتعالى.

وللوصول إلى حقيقة خلق الله تعالى لكل سبب ومسبب وأنه سبحانه هو خالق كل شيء يشبه الدكتور البوطي هذا المعنى بصورة واقعية من حياتنا اليومية وهي الشجرة، فأغصان الشجرة مهما تفرعت وارتفعت وابتعدت عن الجذع الأساسي للشجرة فإنها تتبع وتستمد حياتها وقوتها من مصدر الواحد وهو جذع الشجرة الرئيسي.

والفائدة من هذا التشبيه هو لتقريب المعنى إلى أذهاننا بصورة قريبة من حياتنا اليومية ويكون ذلك أدعى لفهم المعنى، كما أن تصوير الغفلة بالأخذ بالأسباب عن المسبب الحقيقي وهو الله تعالى، وذلك بتشبيهها بالغفلة بأغصان الشجرة المتشعبة عن الجذع الأساسي للشجرة، وذلك يكون أدعى لتصور المعنى وفهمه.

" والذي يشحن جسمه بالقوة ويدعم قوته الجسمية بالسلاح والعتاد موقناً أنه قد ضمن لنفسه بذلك عزة لا تزول، أشبه بمن يجعل من الظل المتنقل حرزاً دائماً له " [1].

يصور لنا الدكتور البوطي في هذا الكلام الانسان الذي يعتمد على قوته البدنية ويعتقد أن هذه القوة هي التي تحميه وتُؤمن له المكانة العالية بين الناس ويشبهه بالإنسان الذي يعتقد بأن ظله الذي يمشي معه سيحميه من أعداءه ويقيه من ضررهم. ووجه الشبه بين الصورتين هو مدى الغفلة والسذاجة التي يفكر بها هذا الانسان في كلا الصورتين. والفائدة من هذا التشبيه هو تقريب المعنى من خلال التشبيه بصورة واقعية من حياتنا اليومية، ولبيان مدى الغفلة التي يتصف بها الانسان الذي يعتمد على قوته الجسدية دون التوكل على الله تعالى، وللتنفير من الاتصاف بهذه الصفة من خلال تشبيه المتصف بها بالإنسان الغافل.

" والأنكى من ذلك أن صاحب هذا البلاء لا تنهضه نفسه إلى التخلص منه والتحرر من أخطبوط مصائبه، بل تزداد جموحاً به إلى مخاطبة البلاء ذاته! .....كالذي يشرب ماء ملحاً على ظمأ، ما يكاد يشرب من الكأس حتى يزداد ظمأً! " [2].

يصور لنا الدكتور البوطي في هذا التشبيه حال الانسان الذي يُقبل إلى الدنيا طامعاً في تحصيل المزيد والمزيد من الثروة والمال، فهو لا يكاد يصل إلى مقدار معين من هذا الثروة إلا وتهفو نفسه للحصول على المزيد من هذه الثروة، فهو لا يعرف معنى الكفاية من هذا الأموال. فيشبه الدكتور البوطي حال هذا الانسان بحال الانسان الظمآن الذي يشرب ماء مالحاً ليروي عطشه، إلا أنه يشعر بعطشٍ أكبر بعد شربه لهذا الماء، فيشرب المزيد من هذا الماء المالح وهكذا دون أن يروي عطشه.

والفائدة من هذا التشبيه هو تقريب معنى الطمع الذي يشعر به هذا الانسان بصورة واقعية قريبة من الذهن، ليكون المعنى واضحاً أكثر، وكذلك لتصوير الضرر الذي يلحق بالإنسان الذي يسعى لتجميع الأموال في هذه الدنيا دون أن يكون له من ذلك فائدة تُذكر.

([1]) ج3/ ص67.

([2]) ج3/ ص 88.

"وليس في الإسلام من الشدة أو الثقل على النفس إلا مثل تلك الشدة التي يتوهمها الجائع المقبل على الطعام، إذ يضطر إلى تحضير طعامه ثم بذل الجهد الذي لابُدّ منه لمضغه وتحريك فكيه واستساغته ثم ابتلاعه " [1].

يصور الدكتور البوطي في هذا التشبيه التمثيلي المشقة التي قد يتوهمها الانسان أنها ستُصيبه من خلال الالتزام بتكاليف الشريعة الإسلامية، وأنها في الحقيقة ليست مشقة وإنما بذل القليل من الجهد الذي لا يتأتى منه التعب والمشقة.

وللوصول لفهم هذه الصورة بشكل أوضح يشبه الدكتور البوطي هذا الجهد المبذول للقيام بهذه الواجبات بالجهد الذي يبذله الانسان في تناول طعامه، من تحضير ومضغ وبلع، وذلك من حيث بساطة الجهد المبذول في كلا الصورتين، فوجه الشبه بين الصورتين هو عدم وجود المشقة والصعوبة، إنما هي القليل من الحركة والمثابرة على القيام بالفعل.

وتظهر الفائدة من هذا التشبيه في نفي المشقة التي قد يتوهمها الانسان في القيام بالتكاليف الشرعية، وأن الشريعة الإسلامية يسرٌ وليس فيها عسر، وذلك بغرض الترغيب في الإقبال على الالتزام بالتكاليف الشرعية وعدم النظر إليها على أنها عبء ثقيل على المسلم، "وهل كان الدين قمة النعم التي أسداها الله إلى الإنسان إلا لأنه المصباح الذي لابُدّ منه لتلمس طريق سعادته في فجاج الحياة " [2].

لقد أنعم الله تعالى على الانسان نعماً كثيرة، وفي مقدمة هذه النعم نعمة الإسلام التي أكرم الله تعالى بها الانسان في هذه الحياة، ذلك لأن الدين هو المرشد للإنسان إلى الطريق الصحيح في هذه الحياة الدنيا والمنقذ في يوم القيامة.

وللوصول إلى فهم هذا المعنى ومعرفة القيمة الحقيقة لهذه النعمة العظيمة ألا وهي نعمة الدين، يشبه الدكتور البوطي التعليمات الدينية والأوامر الربانية في هذه الحياة بالمصباح الذي ينير في الظلام فيكشف لنا عن الطريق الصحيح والأسلم الذي نستطيع من خلاله الوصول إلى مرادنا وهدفنا. فالإنسان في هذه الحياة يملك خيارات متعددة في أن يسلك طرق مختلفة للوصول إلى السعادة التي ينشدها، إلا أنه لا يملك القدرة على التمييز بين الطريق الصحيح والطريق الخاطئ لولا الدين أو الشرع الرباني الذي يمد الانسان بالمعرفة اللازمة لمعرفة الطريق الصحيح، فالدين كالمصباح الذي ينير في الظلام ليعرف الانسان أي طريق هو الطريق الموصل إلى غايته. والفائدة من هذا التشبيه هو لتقريب المعنى إلى الأذهان وذلك بتشبيه المعنى العقلي بشيء واقعي ملموس ليكون المعنى مفهوماً، وكذلك الترغيب في الالتزام بتعاليم الدين وذلك بتشبيهها بالمصباح الذي ينير، والتحذير من الشرود عن التعليمات الربانية وإلا كان الانسان في الطريق المظلم الذي تكون نهايته الشقاء

"إن الناس كلهم عبيدٌ مملوكون لله تعالى، إذن ينبغي أن يضعوا عبوديتهم له موضع التنفيذ في حياتهم السلوكية وأن ينسجموا مع هوياتهم حتى لا يكونوا كالقزم الذي نسي حجمه فأصر على أن يرتدي ثياب المردة الطوال " [3].

يصور الدكتور البوطي في هذا الكلام الإنسان الذي يرفض التزام أوامر الله تعالى والدخول تحت عبوديته، ليظن من نفسه أنه يستطيع بقدرته البسيطة أن يتجبر في الأرض ناسياً هويته البشرية التي تستمد كل قواها من الله تعالى. وللوصول إلى فهم هذه الصورة بشكل أوضح يشبه الدكتور حال هذا الإنسان بالقزم الذي يغفل عن هويته الحقيقة ويحاول أن يتشبه بالمردة ويظن من نفسه القوة.

([1]) ج3/ ص100.

([2]) ج1/ ص 113.

([3]) ج3/ ص 137.

والفائدة من هذا التشبيه هو توضيح المعنى وتقريبه للذهن بصورة قريبة من العقل ليكون أدعى للفهم، وكذلك تشبيه حال الإنسان الذي لا يُقر بعبوديته لله تعالى بالقزم الذي يظن نفسه مارداً فيه تنفير من هذه الصورة، والتحذير من التشبه بحال هذا الإنسان لكيلا يكون مثله، وفيه أيضاً الحض على الالتزام بعبودية الله تعالى.

"ولو أنهم صحوا إلى هوياتهم الحقيقية وأدركوا أن كل ما يتمتعون به من عوارض العافية والقوة والأمن والغنى، إنما هو سحائب وافدة تمر بما تحمل إليهم من مقومات المتعة وأسباب السعادة، ويوشك أن تتجاوزهم وتغيب عنهم " [1].

يشبه الدكتور البوطي في هذا الكلام ما يمر به الانسان من حالات الوفرة والنعم بالسحب التي تمر على مكان معين من الكرة الأرضية فتنزل المطر ثم تتجاوز ذلك المكان إلى مكان أخر فتسقيه بالماء أيضاً تاركةً المكان الأول.

ووجه الشبه بين الصورتين هو الانقطاع وعدم الديمومة، فكما أن السحابة تمضي بعد إنزال المطر متجاوزة ذلك المكان إلى غيره وكذلك النعمة تمر بعد فترة من الزمن تاركةً صاحبها إلى غيره.

والفائدة من هذا التشبيه هو لتقريب المعنى إلى الأذهان بحيث يكون مفهوماً، وذلك بتشبيه المعنى العقلي بشيء محسوس، وكذلك للتحذير من الاغترار بما يتمتع به الانسان من نِعمٍ في هذه الدنيا، لأنها عوارضٌ زائلة.

النتائج:

إن أهم النتائج التي نستخلصها من خلال البحث هي ما يلي.

- إن التشبيه في علم البلاغة هو من الأساليب المهمة في إيصال الفكرة بشكل أوضح للمخاطب، لما في التشبيه من تبسيط المعنى وذلك من خلال تشبيه الفكرة الصعبة بالصورة القريبة إلى الذهن، فلذا كان التشبيه هو أهم أبواب علم البيان، ولذلك نرى كثرة استخدامه في التخاطب بين الناس.
- استفادة الدكتور البوطي من التشبيه وكذلك من الأسلوب الأدبي والبلاغي في الكلام لنقل المادة العلمية للقارئ، مما يجعل هذا دافعاً لنا للاستفادة من فروع علم البلاغة في توضيح المعنى ونقل الفكرة، ليكون الكلام أبسط وأبلغ.
- أهمية التشبيه عند علماء البلاغة العربية، وعند علماء المسلمين بشكل عام.

المصادر المراجع

أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة– دار المدني بجدة.

الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية– بيروت/ الطبعة الأولى 2003.م

إيقاظ الهمم في شرح الحكم، أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، تقديم محمد أحمد حسب الله، دار المعارف– القاهرة.

البدايات باكورة أعمالي الفكرية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر دمشق، الطبعة الثانية 2013.م.

البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى 2003.م

[1] ج3/ ص 180

البلاغة فنونها وأفنانها، الدكتور فضل حسن عباس، دار الفرقان– الأردن الطبعة الرابعة 1997.م

جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية– بيروت.

الحكم العطائية شرح وتحليل، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر–بيروت/ دار الفكر، دمشق، الطبعة إعادة 2003.م

شرح حكم ابن عطاء الله، الشيخ الزروق أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، تحقيق عبد الحليم محمو، دار الشعب– القاهرة 1985.م

طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداوودي، دار الكتب العلمية– بيروت.

علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية– بيروت، الطبعة الأولى 2009.م

علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة 1993.م

لسان العرب، جمال الدين بن منظور، دار صادر– بيروت، الطبعة الثالثة 1414هـ

من الفكر والقلب، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفقيه للنشر والتوزيع، مصر.

هذه مشكلاتهم، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، تاريخ الطبعة 2008م.